

إحياءات الفضاء في "كتاب الرمل" لبورخيس وفي "12 قصة مهاجرة" لماركيز

by Borges "The book of sand" "The connotations of space in
by Márquez "Twelve Tales Pilgrims" and in

د. الجيلاني الغرابي ثانوية محمد السادس التأهيلية - وجدة - المغرب

abouwael01@hotmail.fr

تاريخ القبول: 2018/12/02

تاريخ الإيداع: 2018/06/10

الملخص

إن العناصر المكونة لعلم السرد أربعة، هي الشخصيات والزمان والفضاء أو المكان والوظيفة السردية، ويعد عنصر الفضاء أحد أبرز هاته المكونات... لقد خصصت هاته الدراسة لإحياءات مكون الفضاء في المجموعتين القصصيتين "كتاب الرمل" للأديب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس و"12 قصة مهاجرة" للأديب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، فافتحتها بمقدمة بينت فيها أهمية الفضاء بصفة عامة، وحددت الأفضية التي جرت فيها أحداث المتنيين المدروسين. وقسمتها إلى عنصرين اثنين، تناولت في العنصر الأول دلالات الفضاء في "كتاب الرمل"، وعالجت في العنصر الثاني دلالات الفضاء في "12 قصة مهاجرة"، وختمتها بخلاصة خلصت فيها إلى أن الساردين قد وظفا نوعين من الفضاء متناقضين متكاملين في الوقت ذاته...

الكلمات المفتاحية

العناصر المكونة للسرد إحياءات الفضاء_ كتاب الرمل_ بورخيس_ 12 قصة مهاجرة_ ماركيز

Abstract

There are four elements making narration: characters, time, place or space and the narrative function. One of these most important elements is space...

I devoted this study to the connotations of element space in both novels "The book of sand" by Argentine writer Jorge Luis Borges and in "Twelve Tales Pilgrims" by Colombian writer Gabriel Garcia Marquez, that I started by an introduction in I showed the importance of space in general, then I set the spaces in which the two studied corpus' events took place. Then I

divided then into two subconstituents that dealt with the connotations of space in "The book of sand" and in "Twelve Tales Pilgrims".

I arrived to the conclusion that both narrators have used two kinds of contradictory and complementary space in the same time...

Keywords

_The narrative elements _The connotations of space _The book of sand
_Borges _Twelve Tales Pilgrims _Márquez

مقدمة

يعتبر مكون الفضاء من أكثر العناصر المشكلة لعلم السرد أهميةً، ويتحدد في العمل من خلال أشكال، ويتخذ معاني متعددةً فيه إلى أن يشكل أحياناً سببَ كينونته⁽¹⁾. إن لكل متني علاقةً ما بالفضاء، وحتى عندما يضرب السارد عن الوصف، فإن الفضاء يكون على كل حال متضمناً في المسرود⁽²⁾. ويحتاج أي سارد إلى مكان يمتد تأثيره إلى أن يحوي العناصر الداخلة في تشكيل السرد جميعها...

حدثت وقائع "كتاب الرمل" للأديب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس في أفضية عامة، هي القارة الأمريكية والقارة الأوروبية والقارة الآسيوية والقارة الإفريقية، وتقاسمت أحداثها السردية عدة أفضية أقل عمومية، أهمها دول إنجلترا وكولومبيا والولايات المتحدة الأمريكية والبيرو والمكسيك وروسيا وفرنسا والنمسا وإيرلندا والبرازيل والأوروغواي والأرجنتين والدانمارك والهند وبوليفيا والنرويج وإيسلندا والسويد وكندا والكونغو السويسرية... ومدن كاسا كولورادا وكامبرج وبوينس أيرس وجنيف وكاركاس وقرطبة وأنتري ريبوس وبوغوتا ويورك وأوسلو ولندن وإدنبرة ومونتفيديو وسانتافي وكاسيلدا وبونتاديل أستى وباريس وأوسطن ولوماس وغلو وميرلو ولوبوس وكاتا مارما وسانتا إيرين وأكسفورد وأوكلاهوما وتكساس وباهايا بلانكا ووسكونسن وبيكانر... وأفضية أخرى خاصة، أبرزها المقعد والنزل والمجلس والمزرعة والمكتبة والفناء والبلاط والكوخ والنهر والمطعم والشارع والكنيسة والغرفة والنافذة والمتحف والسيارة والبحر والماخور والباخرة والغابة والمقصف والبيت والعربة والساحة والمقبرة والسوق والصور والجامعة ومخزن النفايات والمكتب والحديقة والبوابة والطاولة والمطبخ والقرية والريف والمنضدة والسهل والجزيرة...

وجرت أحداث مجموعة "12 قصة مهاجرة" للروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز في فضاءين عامين، هما القارة الأمريكية والقارة الأوروبية، وتوزعت مسيراتها السردية عدة أفضية أقل عمومية، أهمها دول المكسيك وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية

وكولومبيا والنمسا وسويسرا والبرتغال وبوليفيا والبرازيل وبورتوريكو... ومدن أزيرو وتوسكان وبرشلونة وكاداكيه وقرطاجنة ومدريد وروما وبالرمو وهونداي وبايون وبوردو وباريس وبواتيه وأورليانز ونيويورك ونابولي وريوهاشا وكاديكس وفيينا وكالداس وبورتو وجنيف ولاس كازاس ومانواس... وأفضية أخرى خاصة، أبرزها القرية والطائرة والمطعم والسفارة والقصر العتيق والمنزل والبحر والنهر والجبل والشارع والعي والكنيسة والسفينة والميناء والفندق ومعهد السينما والمتحف والسينما والصيدلية والعمارة ومحطة البنزين والمستشفى والمطار والملجأ والقطار والقنصلية ومحطة القطار والمرمى... وأفضية أخرى أكثر خصوصية، منها الشرفة وإحدى تعريشات الورود والنافذة والغرفة والرصيف والحديقة والشاطئ والميدان والمرأب والطابق والملمى والحمام والصالون والمقهى والمصعد والكوخ وغرفة الضيوف والمطبخ والسيارة والحجرة والحافلة والأريكة والمقعد والمقبرة والسطح ودورة المياه والعنبر والبحيرة وصحن الدار والسرير... لقد تناولت إحياءات الفضاء في المتنين المذكورين لكونهما من أهم المجموعات السردية، ولأنهما احتويا أمكنة/أفضية موحية، تحمل في طياتها دلالاتٍ ثريةً، ولكون مولفهما أسطونين من أساطنة الأدب في أمريكا اللاتينية خاصة وجهيذين من جهاذة فن السرد عامة...

أولاً: إحياءات الفضاء في "كتاب الرمل" (3)-(4)

لخورخي لويس بورخيس (5)

أ_المقعد: فضاء التأمل والتفكير والتذكر

ذات صباح، جلس خورخي لويس بورخيس الرجلُ السبعينيُّ فوق أحد المقاعد المطلة على نهر تشارلز، وشرع يتأمل المياه الرمادية وهي تدفع الطوف الجليدي، ويفكر في الزمان الماضي، وفي صورة هيراقليطس قبل ألف عام، وفي محاضرتة التي ألقاها عصر اليوم السالف، والتي نالت إعجاب طلابه، واستقطبت اهتمامهم...

فجأة، جلس خورخي لويس بورخيس الشابُ العشريُّ على جانب المقعد الآخر، وأخذ يصدر صغيراً مزعجاً، فتذكر بورخيس الرجل فناء دار معينة في مدينة بوينس أيرس، إختفت منذ وقت بعيد، وتذكر كذلك ابن عمه ألفارو ميليان لافينيور الذي توفي منذ عدة سنوات...

ب_الزل: فضاء اللقاء والحب والظلمة والرذيلة

التقى الأستاذ الكولومبي خافير أوتالودا الفتاة النرويجية الشابة أولريكا في ردهة صغيرة بالنزل الشمالي بمدينة يورك، ثم غادراه، وشرعا يتجولان في الغابة، ويمشيان على الثلج، وأحب كل منهما الآخر...

بعد ذلك، قصدا نزلاً آخر، يحمل اسم ثورغيت، وولجا غرفةً واطئةً السقف مظلمةً، وانعكست صورة سيريرهما في مرآة معتمة، فخلعت أولريكا ما عليها من ملابس، ودعت خافير إليها، فشعرا بأن الثلج يتساقط بشكل أسرع من ذي قبل، وتوارت المرايا والأثاث، ولم يعد يفصلهما سيف، وتطاير الزمان تطاير الرمال، وتدفق الحب بينهما...

ت_المجلس: فضاء العالمية والسريّة والإيمان والتضحية والالتزام والانتظام

بذل أعضاء المجلس كل ما في وسعهم، وسعوا جاهدين إلى أن يكون مجلسهم مجلساً عالمياً، يضم أطياً مختلفاً من دول وقارات مختلفة، وكانوا يعقدون اجتماعاتهم فيه بشكلٍ سريٍّ جداً، وآمنوا بمبادئه إيماناً قوياً، وضجوا لأجله، وألهمهم الحماس والتحمس، فتخلوا عن مقابلهم المادي منه، والتزموا بقوانينه التزاماً أعمى، وانضبطوا لها بانتظامٍ قل نظيره...

ث_المزرعة: فضاء الجلد والهزال والحرارة والعراك والخوف والوحدة

دعا دون أليخاندر غلينكوي كلاً من أليخاندر فيري وخوزيه فرنانديز أيرالا إلى قضاء أيام في مزرعته لكاليدونيا، فصورها فيري بأنها كانت مشيدةً باللبن، وكانت سقوفها سرجيةً من القش، وكان ممرها مرصوفاً بالطابوق وكأنه بني لاختبار قوة الإنسان على الصبر والتحمل والجلد، ولم تزرع فيها ولو شجرةً واحدة، فكانت الشمس بها محرقةً من بداية شروقها إلى نهاية غروبها، وكان الحر شديداً لا يحتمل حتى أثناء الليل، ورأى ماشيتها كثيرةً منهكةً هزيلةً في زرائب من الحجر...

في إحدى الليالي، نشب عراكٌ في المزرعة بين أحد عمال النهار وأحد المساعدين الاعتياديين، واشتبكا بالسكاكين، فأحس فيري بالوحدة تفرع بابه، وشعر بالعزلة أكثر من المزرعة التي ولد فيها، فاستولى الرعب عليه، وساوره الخوف من أنه لن يرجع إلى مدينته بوينس أيرس...

ج_المكتبة: فضاء الدرس والبحث والفحص والموازنة والإمعان

سافر أليخاندر فيري إلى مدينة لندن في شهر كانون الثاني/يناير من عام اثنين وتسعمائة وألف ميلادية (1902م)، واستقر في بيت متواضع خلف المتحف البريطاني، وانكب على دراسة كافة اللغات في المكتبة صباح مساء، وأخذ يبحث عن لغةٍ جديدةٍ قميئةٍ بأن تكون لغة مجلس العالم، ولم يغفل أية منها، وفحص الإسبرانتو⁽⁶⁾ والفولابوك⁽⁷⁾، ووازن بين الحجج المؤازرة لإحياء اللاتينية والمناهضة لها، وأمعن النظر في اللغة التحليلية عند جون ولكنز...

ح_الفناء:فضاء الحرق والتدمير

أمر دون أليخاندر غلينكوي رئيسُ المجلس بقيةَ أعضائه بأن يخرجوا صناديقَ الكتب جميعها من القبو، فانصاعوا لأمره، وكَوَّموها في الفناء كوماتٍ يفوق ارتفاعها طولَ أطولِ رجلٍ فيهم، ثم أصدر أمره إليهم بأن يشعلوا النار فيها، فأحرقوها، ودمروها عن آخرها... بدأ اللمب المشتعل يصدر فرقعاته، فاضطروا إلى أن يلتصقوا بالجدار أو إلى أن يدخلوا إلى الغرف تاركين وراءهم العتمة والرماد المتطاير ورائحةَ الاشتعال في الفناء...

خ_كاسا كولورادا:فضاء القبح والتنافر والانبض والقذارة

كانت كاسا كولورادا تقع بالقرب من لوماس على أطراف مدينة بوينس آيرس، وقد زارها السارد، ووصفها بأنها تنتصب فوق وهدة من الأرض، وتحدها من جهة الغرب الحقول التي لوحتها أشعة الشمس، ولم تتمكن أشجارُ الأوركادية الموجودة داخل سياجها من تلطيف كثافة هوائها، وكانت سطوح منازلها تتخذ أشكال السروج مكسوةً بالقرميد، مما كان يبعث عن الانقباض والقبح والتنافر...

د_البلاط:فضاء إلقاء الشعر والإعجاب وتقديم الهدايا

انتصر الإيرلنديون على النرويجيين في معركة كلونتارف، فاستدعى ملك إيرلندا شاعره إلى بلاطه، وطلب منه بأن يصوغ هذا الإنجازَ العظيمَ كلاماً، فنظم ثلاث قصائد في ثلاثة أوقات مختلفة، فأعجب الملك كثيراً بشعره، واستحسنه استحساناً قل مثيله، وأغدق عليه بعطاياه، وكافأه بأن أهداه امرأةً فضيةً وقناعاً ذهبياً وخنجرًا...

ذ_الكوخ:فضاء الولادة والموت والقتل

وُلِدَ الحطابُ في كوخه الموجود بمحاذاة الغابة الكبيرة الشاسعة، وقضى فيه معظم عمره، ومات فيه... ذات مساء، زاره إسبرن ملك السيكجن، فطمع في قرص ملكه، وضربه بفأسه على ظهر عنقه، فقتله، وسحبه من كوخه، وألقاه في النهر الجاري...

ثانياً: إحياءات الفضاء في "12 قصة مهاجرة" (8) - (9)

لغابرييل غارسيا ماركيز (10)

أ_القصر:فضاء الرومانسية والأرواح والعبقرية

زار الساردُ قصرَ زميله الأديب الفنزويلي ميغال أوتيرو سيلفا بالريف التوسكاني، فوصف الفضاء الموجود فيه بأنه رومانسي، تشتهر طريقه بالقناطر، وتحفه أشجار السرو، ويخلو من اللوحات الإرشادية...

أطلع ميغال الساردُ وزوجه وابنيهما على أن هذا القصر يتكون من اثنتين وثمانين حجرة، وحدثهم أنه شيده وسكنه عبقرى واحد، هو لودوفيشيو الذي كان أستاذا كبيرا في فنون الحرب، وكانت له قدرات هائلة... وكانت العجوز التي دلتهم على الطريق حذرتهم من المبيت فيه، لأنه مسكونٌ بالأرواح، وأكد لهم ميغال نفسه بكل حزم وجدية أن روح العبقرى لودوفيشيو تظهر في القصر انطلاقاً من منتصف الليل...

ب_ حجرة لودوفيشيو: فضاء السحر وتوقف الزمان

رأى الساردُ الحجرة الأخيرة التي كان ينام فيها لودوفيشيو، فترأت له فضاءً ساحراً قد توقف فيه الزمان. فقد كان الفراش معرّشاً مغطى بالستائر المشغولة بالخيوط المذهبة، وكان الغطاء أعجوبةً في النقش والزركشة، تجمد دم العشيق الضحية عليه، وتحجر رماد الحطب في مدخنة بأحد أركانها، وصُفّت أسلحة لودوفيشيو في صوانٍ مثل عتاد جندي قديم، ووُضعت في إطارٍ ذهبيٍّ ملامحٌ زيتيةٌ لفارس من القرون الوسطى، ينبعث الثبات والثقة والتأمل الحزين من عينيه...

ت_ مدينة كاداكه: فضاء الحياة والموت والنعيم والجحيم

اعتبر السارد مدينة كاداكه أجملَ بلاد كوستابرافا، وأكثرَ أمناً، إذ إنها تطل على بحر بدون قرار، وبيوتها بيضاء منخفضة عريقة، وهي ذات طابع تقليدي، وتحتوي مباني حديثة، صممها مهندسون معماريون بارزون، لكنهم احترموا طابع البلد الأصيل... ترتفع درجة الحرارة بها صيفاً، فتصير جنةً تشبه حدائق بابل، ويؤمها السائحون من أنحاء القارة الأوروبية كلها، ويقضون ثلاثة أشهر بها رفقة أهلها والغرباء عنها، ويستمتعون بنعيمها، كما أنها تكون أكثرَ روعةً وجمالاً ربيعاً وخريفاً، وكان الشباب المغني يعيش فيها، ويكسب قوت عيشه من الغناء بمطعم شعبي شهير بها... يوجد بها شارع الكورنيش الضيق المتعرج، فيصعب على السائقين المهرة تجاوز سرعة خمسين كيلومتراً في الساعة...

وحين تهب رياح الشمال عليها، وهي رياح يقول عنها السكان الأصليون والكتاب الخياليون إنها تحمل جراثيم الجنون، تتحول إلى فضاء للموت، فقد فرَّ الشباب المغني منها، وأقسم ألا يعود إليها، لكن أرغمتها جماعة من الشباب السويديين على ذلك، فحاول الهرب منهم، وسقط في هوة عميقة، ففضى بها... ووُجدَ البوابُ العجوزُ مشنوقاً في سقف بيته، وجسده يتأرجح بأخر

هَبَّةً من هواء رياح الشمال، وشعر السارد بالحنين إلى وطنه، وقرر مغادرة كاداكيه وعدم العودة إليها أبداً...

ث_بيت البواب: فضاء الإعتكاف والكتابة

بدأت سمات الشيخوخة والهرم على البواب، فاعتكف داخل بيته، وراح يقضي معظم وقته وحيداً، يعد غذاءه وأشهى مأكولاته على موقد صغير حثير، ويدعو زوار المدينة إلى تناولها معه... كما أنه كان يمضي الساعات يكتب مذكرات الاحتجاج على نتائج المباريات...

ج_مدينتا مدريد وروما: فضاء السلفية والحَرَ والقَرِّ والمتناقضات

كان السارد يقيم بالطابق الخامس من العمارة رقم: 47 في شارع كاستيانا بمدينة مدريد العاصمة الإسبانية. واشترى لابنيه توتو وجوال سفينة ذات مجاديف، فلم يجد مكاناً مناسباً يبحران بها فيه، فاضطرا إلى ممارسة إبحار وهمي في غرفتهما، فوصف السارد هاته المدينة بأنها سلفية، لا يوجد فيها نهر ولا بحر، وأن سكانها الأصليين ريفيون، لم يتمكنوا أبداً من ممارسة فن الإبحار في الضوء، وأن صيفها حار جداً وشتاءها ثلجي...

بعد الظهيرة، كانت مدينة روما العاصمة الإيطالية ترزح تحت شمس أغسطس/أغشت الحارقة، وتظل ثابتة في كبد السماء، فتهدأ حركة شوارعها باستثناء خريف الماء. وفي السابعة مساءً، تُفْتَحُ النوافذُ كُلُّها دفعةً واحدةً للاستمتاع بنسيمات الهواء الهادئة، وتعم الفوضى الشوارع، وتمتزج الضوضاء بهدير العجلات وصياح البائعين وأغاني الحب في الشرفات المزهرة... وتعود المدينة إلى النظام في فصل الخريف، فتوصد الشرفات مع هبوب أول عاصفة، ويلزم سكانها البيوت والمقاهي...

ح_حديقة الحيوان: فضاء التسكع والشفقة والحزن والكآبة

كانت فتياتُ الهوى الصغيراتُ الرقيقاتُ الجميلاتُ الودوداتُ تتسكعن في حديقة الحيوان باحثاتٍ عن الزبائن من السائحين... وزار مارجاريتو دوارت هاته الحديقة، فشرع الأسد الموجود بها يزأر بشدة، ويتحرك حركاتٍ غريبةً شفقةً عليه ورقةً لحاله... وقفل السارد إليها بعد اثنين وعشرين عاماً، فألقى أشجارها عاريةً من أوراقها كئيبةً حزينةً، ووجد أسدها عجوزاً معزولاً فوق جزيرته قابلاً بها...

خ_شرفة المنزل: فضاء الحب والعزف

توطدت علاقة الحب بين الشابين تينا داكونت وبيلي سانشيز، فصارا يقضيان أمسياتهما معا في شرفة منزل أسرتهما العتيق الرحب المطل على مزارع المانجو، وكانت هي تعزف له على آلة الساكسوفون، وكان هو يتأملها بنظرات جائعة...

د_ريف أورليانز: فضاء الجمال والموت

عَبَّرَ الزوجان الشابان بيلي سانشيز وتينا داكونت في سيارتهما ريفَ منطقة أورليانز الفرنسية، فشعرت الفتاة الزوجُ بالراحة لكونهما لم يستريحا بأحد فنادقها، وأخبرت زوجها بيلي بأنها زارت هاته المنطقة مع والديها لما كانت ما تزال طفلة صغيرة، وأنها تعتبرها أجملَ ريف في العالم، وفي المقابل، ترى أنه يمكن أن يموت الإنسانُ جوعاً بها من غير أن يناوله أحدٌ من سكانها كوباً من الماء...

د_فنادق مدينة باريس: فضاء القذارة وقلة النظافة

كانت تينا داكونت تعرف مدينة باريس جيداً، فأحضرت معها، أثناء رحلتها مع زوجها، قطع الصابون ولفافات الورق الصحي، لأن فنادقها ينعدم بها الصابون، ويقطع أصحابها أوراق الجرائد القديمة قطعاً صغيرة، ويعلقونها في الحمام بدل الورق الصحي...

ر_شارع الإليزيه: فضاء الرقي والهدوء

عندما أُدخِلت تينا داكونت المستشفى بمدينة باريس، قرر زوجها بيلي سانشيز الذهاب لمقابلة السفير بنفسه... كانت السفارة توجد في رقم: 22 من شارع الإليزيه، وهو أرقى أحياء هاته المدينة وأكثرها هدوءاً، وكانت الشمس ساطعة، فبدا برج إيفل جلياً في سماء صافية...

ز_حجرة بريدنشيا: فضاء الهدوء والبكاء

ولجت السيدة بريدنشيا لينيرو حجرتها بالفندق في مدينة نابولي الإيطالية، فوجدت نوافذها مغلقةً وظلامها ساكناً هادئاً، وبدت لها أشبه بغابة صغيرة، تساعدها على البكاء، وألفت فيها المكان المناسب لتنتحب حتى الثمالة بحريتها... أوصدت جيداً باهها، وخلعت عنها حذاءها، وحلت حزامها من حول خصرها، وغاصت في فراشها، وراحت تبكي بكاءً حاراً متصلاً...

س_المستشفى: فضاء السجن والجحيم والوحدة والسكون المमित

كانت النساء في مستشفى الأمراض العقلية تتحركن بهدوءٍ غريبٍ يشبه حركة أسماك الزينة الصامتة في الأحواض، وتعانين من قساوة وحدة الليل، إذ كن تبقين يقظات، ولم تكن تتجرأ إحداهن على الكلام خوفاً من الحارسة الشرسة اليقظة وراء الباب المغلق بالأصفاد والأغلال، والتي كانت تتمتع بالحياة في السكون المमित... ولم تستطع ماريا في البداية التأقلمَ في حياة هذا السجن والاندماج معها، وحين سألت زميلتها في الفراش المجاور لها عن مكان وجودهن، أجابتهما بأنهن في أعماق الجحيم...

ش_شرفات المنزل/شرفة فندق هافانا ريفيرا/منزل ماريا: أفضية التأمل والقراءة والعناية

والمراقبة والنظام والأناقة

كان السارد يتناول وجبة فطوره في شرفة فندق هافانا ريفيرا الضخم المكون من عشرين طابقاً، ويتأمل منها شارع مالكون المقابل له، فرأى ازدحاماً شديداً من السيارات الكثيرة المتحركة، وعدداً كبيراً من السيارات الواقفة على جانب الرصيف، وشاهد إحداها ترتطم بحائط الفندق، وتحدث انفجاراً مربعاً، فتحطمت واجهة المدخل الزجاجية، وجرح عددٌ كبيرٌ من السائحين الموجودين بقاعة الاستقبال، وأخذ الناس يجرون في الاتجاهات كلها، فتطوع بعض الكوبيين البسطاء الطيبين، وساعدوا رجال المطافئ، وجمعوا الحطام في أقل من ساعة، وأغلقوا الباب المطل على البحر، وفتحوا باباً آخر، فعاد الهدوء من جديد...

وكانت زوجٌ رئيس بورتوريكو المخلوع تجلس إلى جانبه في شرفات منزلها بجزيرة المارتينيك، فتقرأ الأدب اللاتيني، وتعتني بالعصافير التي تحتفظ بها حرة، وتراقب السفن العابرة في البحر... وزار عامل الجنازة بيت ماريا دوس برازيراس، فرأى كل شيء موضوعاً في مكانه بدقة وعناية كبيرتين، فخال أنه لا يوجد منزل في الدنيا أكثر نظاماً منه... وحين أنهيا حديثهما، شرع يجمع أدواته، ويتأمل (أي البيت) بنظراتٍ ثاقبةٍ فاحصةٍ مندهشاً من أناقته الفائقة وسحره الجذاب...

ص_مدن نابولي وفيينا وجنيف:_أفضية الموت والوحشة والأشباح والسوق السوداء والتجسس والغربة

والوحدة الإختناق والإكتظاظ

ركبت السيدة بريدنشيا لينيرو سيارة أجرة في مدينة نابولي بإيطاليا، فبدت لها شوارعها وشواطئها خاليةً موحشةً حارقةً، وشعرت بأنها الكائن الحي الوحيد وسط مدينة الأشباح هاته... واعتبر الساردُ مدينة فيينا العاصمة النمساوية مرتعاً خصباً للسوق السوداء والتجسس العالمي، لأنها تقع بين عالمين أو معسكرين متناقضين متضاربين، وهذا ما جعل الحياةً صعبةً جداً فيها... ولما التقى مواطنه فروفيدا فيها، استفسرها عن طريقة عيشها في هذا الفضاء البغيض المليء بالعنف والأحقاد، فأجابته بأنها تحلم مقابل مرتب...

وجلس رئيسُ بورتوريكو المخلوعُ وحيداً حزيناً تحت ظل شجرةٍ ذابلةٍ قرب بحيرة في مدينة جنيف العاصمة السويسرية، ولم يكن سوى شخصٍ غريبٍ في مكان يشتهر بالغرباء المشاهير... وضافت ماريا دوس برازيراس ذرعاً بالمدينة الخائفة المكتظة بالناس، فاشترت شقة محطمة في بلدة ريفية، ثم أصلحتها، واستقرت بها...

ض_جزيرة المارتينيك:_فضاء المنفى

حدّثَ الرئيسُ المخلوع هوميرو ولأزارا أنه اختار جزيرة المارتينيك منفى له، لأنه يعرف الشاعر سيزار الذي ساعده على أن يبدأ حياته الجديدة بها، فاشترى بأموال زوجته بيتا جميلا شرفاته مزهرة مطلة على البحر، وأمضى وقته منفيا معزولا، لا يبلغه عن العالم الخارجي إلا بعض الأخبار التي يطالعها في الجرائد...

ط_مقبرة دوروتي: فضاء الحزن والكآبة والجمال والألفة

اختارت ماريّا دوس برازيراس المقبرة الخاصة بأهل دوروتي، وقد كانت الأكثر حزناً وكآبةً من بين المقابر جميعها... وأخذت تزرع حديقة قبرها بأزهار تتفتح في المواسم كلها، فغرست النجيلية في الأرض، ثم قصتها بالمقص كي تصير أشد كثافةً من سجاد فندق كبير، فبدا لها المكان مألوفاً، وتعجبت من جماله...

ظ_السيارة: فضاء السعادة والسحر

إنهمر المطر غزيراً، فبلل ثياب ماريّا دوس برازيراس، وحمّت كلها تحت معطفها، ولم تجد مكاناً واحداً تحتمي فيه، ولا سيارة أجرة تقلها... فجأة، مرت سيارة رمادية فاخرة أمامها، ثم أنقص السائق من السرعة، ورجع، ووقف قدامها، وأنزل الزجاج بطريقة سحرية، وعرض عليها توصيلها إلى مقر سكنها...

ركبت ماريّا السيارة، فشعرت وكأنها في عالمٍ آخرٍ غريبٍ عنها، وأحست بأنّها في عالمٍ سعيدٍ ساحرٍ، وصار المطر متعةً، وتبدلت الحياة ألواناً زاهيةً جميلةً، ورأت السائق يقود بمهارة فائقة وسط زحام المدينة وكأنه ساحرٌ عظيمٌ، فخجلت من نفسها، وخجلت من أن تضايقه بكلمها الذي يجلس على ركبته، واعترفت له بأنّها سيارةٌ رائعةٌ لم يسبق لها أن رأت مثلها حتى في عالم الأحلام...

خلاصة

وظف الأديب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس في مجموعته "كتاب الرمل" أفضيةً مفتوحةً تدل على الحياة والحب والإنشراح والسعادة، منها المقعد والنزل والمجلس وكوخ الحطاب والمكتبة وبلاط الملك... وأفضيةً مغلقةً تبعث عن الموت والحزن والكآبة، منها المجلس والمزرعة والنفاء وكاسا كولورادا والكوخ... واتكأ الأديب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز في مجموعته "12 قصة مهاجرة" على أفضيةٍ مفتوحةٍ منفتحةٍ على محيطها، توحى بالنعيم والحياة والإنسانية والرقى والشفقة والإنشراح والسعادة والحب والعزف والألفة والرومانسية والجمال والسحر وتوقف الزمان والنظام والأناقة والعبقريّة والهدوء والسكون والتأمل والمراقبة والكتابة... أبرزها قصر الأديب الفنزويلي ميجال أوتيرو سيلفا وحجرة لودوفيشيو ومدينة كاداكيه وبيت البواب البحار وحديقة الحيوان وشارع الإليزيه والشرفة وريف أورليانز وحجرة

بريدنشيا ومنزل ماريا دوس برازيراس والسيارة... وعلى أفضية مغلقة منغلقة على ما يحيط بها، تفوح منها رائحة الجحيم والموت والمتناقضات والحزن والكآبة والوحشة والوحدة والمنفى والغربة والتسكع والإكتظاظ والشعور بالإختناق والحَرَ والقَرِّ والقذارة وقلة النظافة والتجسس والسوق السوداء، أهمها مدينة كاداكيه والحديقة ومدينة روما والمستشفى ومدينة نابولي وفنادق مدينة باريس وجزيرة المارتينيك ومدينة فيينا ومقبرة دوروتي ومدينة مدريد... ورُغم كون هذين النوعين من الفضاء متناقضين إلا أنهما متكاملان، فقد تكاملا في ما بينهما في المتنين معا، ليعكسا الصورة ومقابلها، وليدلا على الشيء ونقيضه...

إن تقنية استعمال الأفضية المتنوعة المتناقضة المتكاملة في الوقت نفسه تتكرر في أعمال ماركيز كلها، فقد دارت أحداث روايته "الجنرال في ماتهته"⁽¹¹⁾ مثلا في فضاءين عامين، هما القارة الأمريكية والقارة الأوروبية. وتقاسمت مسيراتها السردية مجموعة أفضية أقل عمومية، أهمها دول فنزويلا وبوليفيا وكولومبيا والبيرو وولاية غرناطة الجديدة وفرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وجامايكا والمكسيك وهايتي والبرازيل وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا وباناما والإكوادور... ومدن وقرى وبلدات سانتافي دي بوغوتا وكيثو وكارتاخينا دي أندياس وأوندا وليما وغواياكيل وخونين وأياكوتشو وبيتشينتشا وتوموسلا وفيتاري وسولاندا وكاراكاس ولندن وروما وفاكاتاتيفا وغوادواس وباريس وأوكانيا وواشنطن وجيفرسون وتشارلوتفيل وفيرجينيا وكوراساو ووست مينستر وساندهورست وتشوكيسالكا وكينغستون وبارانكا نويفا وبويرتو ريال وأنغوستورا وسانتا كروث دي مومبوكس ومدريد وتورباكو وثمانانو ونيو أورليانز وتينيريفي وغوايتارو وسلامينا والبينيون وماريا لاباخا وسان خائنتو وأغواس فيغاس ولوس ليانوس ومكسيكو وبوتوسي وسوليداد ولاثيناغا وفلوريدا دي سان بيدرو أليخاندرينو وسان ماتيو وكاسا كويما ومونسرات وأبوريه وفلنسيا وبوبايان... وأفضية أخرى خاصة، أبرزها الحمام والإصطبل والكاتدرائية والرف والغرفة والبيت والصالة والسرير والدهليز والحديقة والميناء والطريق والشارع والشرفة والمعهد والمحكمة والساحة والمتاجر والقصر والجسر والصحراء والسفينة وذرى الجبال والمزرعة والنهر والغابة والمائدة والخزينة والدير والأرجوحة والمصنع والنزل والأكاديمية العسكرية والجامعة والكنيسة والمنجم والميناء والبرج والمقعد والجزيرة والمعمل والبحر والمصلى والحجرة والمدرسة والبارجة والمرفأ والمقبرة والمكتب والكوخ والمستنقع والبركة والأريكة والمقهى والسوق والقلعة والقمرة والخليج والحصن ومركز البريد والكرسي والمخزن والعربة والمحيط والمسوخ والسجن والمخدع والفناء والنافذة والتل والسهل...

وانقسمت إلى ثلاثة أصناف، هي الأمكنة المفتوحة الموحية بالحياة والقراءة والكتابة والإنشراح والسعادة والراحة والسكينة والتأمل والنزهة والحلم والرؤيا والحب والاستقبال والإحتفال والرقص والبذخ والتبذير والإنبهار والجمال، منها الغرفة ومزرعتا فوتشا وسان ماتيو والشرفة ومدن سانتافي دي بوغوتا وأوندا وكارتاخينا وباريس والبلدية والمكتب وبيت دون كاستولو كامبيللو والأرجوحة... والأمكنة المغلقة الدالة على الموت والتحريض والتواطؤ والسلب والإعدام العلني والجحيم والعنمة والتشاؤم والحزن والكآبة والقشعريرة والكارثة والخذلان والوباء والدمار والتيتيم والترمل والحنين، منها الشارع وأنغوستورا والبيت الحكومي والساحة الكبرى والنزل والمصنع والدرب ومدينة أوندا والسفينة وسانتا كروث دي مومبوكس وتورباكو وساحة صراع الديكة وسانتا مارتا وبلدة سوليداد وسان ماتيو وفلوريدا دي سان بيدرو أليخاندرينو... والأمكنة المفتوحة المغلقة في الآن ذاته المعبرة عن الحرب وقيادة الأركان والتحرير والانتصار والإبتهاج بالنصر والبطولة والنبيل، منها صحراء باتيفيلكا وخونين وأياكوتشو ومدنتنا ليما وكارتاخينا ومنزل البيه دي لابوبا...

وزاوجت الروائية الصينية تيه نينغ⁽¹²⁾ أيضا في مجموعتها القصصية "الأبدية بعيدة جدا"⁽¹³⁾ بين نوعين من الفضاء متنافرين متكاملين، فاستعملت أفضيةً مفتوحةً توحى بالصفاء والمثالية والراحة والسكون والطمأنينة والهدوء والجمال والمهابة والوداعة والغناء والحرمة والإرتياح والإسترخاء والتأمل والتخمين والمناقشة والتذكر والإسترجاع والتحليق والشعور بالفوقية والتمثيل والتحسس والإحتماء، مثل مدينة بكين والمدينة (B) والجبل والوادي ومدخل حارة دينغ شي ومقهى شيدو وفناء الجدة وقرية تاي أرقو والنهير... وأفضيةً مغلقةً تدل على الإيقاع والتأديب والعقاب والفتنة والخيانة والعزلة وعدم الراحة والتمهيش والحزن والكآبة والغربة والرهبنة، مثل خشبة الغسيل والحوش الخلفي لدار الجدة والحانة والسرير والسينما وقرية تاي أرقو وبلدة شانشي كو... وسيطر على الفضاء عامةً طابع الحياة والإستمرارية والهدوء والسكينة والطمأنينة، وسطع منه النور والأمل والتجدد وإستشراف المستقبل، لأن تيه نينغ تسعى إلى ترسيخ فكرة انتصار قيم الخير على قوى الشر...

الهوامش

1^{ère} édition, Presse Universitaire .L'univers du roman:¹ Roland Bourneuf _Real Ouellet
, Paris_France 1972, page:97.)P U F(de France

² - ميشيل رايمون وآخرون: الفضاء الروائي. ترجمة: عبد الرحيم حزل، تقديم: حسن بحراوي. مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب 2002م، ص: 63.

³ - خورخي لويس بورخيس: كتاب الرمل. ترجمة: سعيد الغانمي. الناشر: دار أزمنا للنشر والتوزيع، الطباعة: شركة الشرق الأوسط للطباعة، الطبعة الأولى: منارات 1990م، الطبعة الثانية: أزمنا كانون الثاني 1999م، عمان-الأردن.

⁴ - عنوان الكتاب الأصلي باللغة الإسبانية "El libro de arena"، وباللغة الإنجليزية "The book of sand"، وباللغة الفرنسية "Le livre de sable".

⁵ - خورخي فرانسيسكو إيسيدورو لويس بورخيس أسيفيدو / Jorge Francisco Borges Acevedo / Isidoro Luis: أديب أرجنتيني ولد بالعاصمة الأرجنتينية مدينة بوينس آيرس يوم الرابع والعشرين غشت من سنة تسع وتسعين وثمانمائة وألف ميلادية (24_08_1899م). تنقل بين بعض دول القارة الأوروبية مثل سويسرا وإسبانيا وبريطانيا، وأمريكا الشمالية، ومُنح عدة جوائز وأوسمة، وعده النقاد من أبرز المؤثرين في أدب أمريكا اللاتينية وأدبائها... خلف كتباً عديدة، منها: حماس بوينس آيرس - متاهات - تقرير الدكتور برودي - تاريخ عالمي لسوء السمعة - كتاب المخلوقات الوهمية - الألف - كتاب الأحلام - الصانع - وسم السيف - سداسيات بابل - صنعة الشعر - مرآة الحبر - قصص - تسعة اختبارات دانتي - سبع ليال... وتوفي يوم الرابع عشر يونيو من عام ستة وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية (14_06_1986م) بمدينة جنيف، ودفن بمقبرة الملوك فيها...

⁶ - الإِسْبِرانتو/Esperanto: لغة عالمية، تعتمد مختلف اللغات العالمية جذوراً لها، وتتميز بسهولة التعلم والبساطة والمنطقية، وضعها الأستاذ لودفيغ أليعزر زامهوف سنة: 1887م، ولم يكتب لها النجاح...

⁷ - الفولابوك/Volapuk: لغة عالمية، تركز على اللغة الإنجليزية في الدرجة الأولى، والألمانية والفرنسية واللاتينية. وضعها الأسقف الكاثوليكي الألماني يوهان مارتن شيلر سنة: 1879م، وبوفاته سنة: 1912م، تفرق أتباعها...

⁸ - غابرييل غارسيا ماركيز: 12 قصة مهاجرة، ترجمة: حسام أبو سعدة. الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق-القاهرة، الطبعة الأولى، سوريا-مصر 2006م.

⁹ - عنوان الكتاب الأصلي باللغة الإسبانية "Doce cuentos peregrinos".

¹⁰ - غابرييل خوسي دي لاكونكورديا غارسيا ماركيز / Gabriel José de la Concordia García Márquez: أديب كولومبي ولد في أراكاتاكا بكولومبيا يوم السادس مارس من سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية (06_03_1927م) من أبويه غابرييل إيليجيو ولويسا سانتياغا ماركيز

إغواران، وقضى معظم عمره في المكسيك والقارة الأوروبية... نال جائزة الرواية عام 1961م، والدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك عام 1971م، وجائزة رومولو جايغوس عام 1972م، ووسام جوقة الشرف الفرنسية سنة 1981م، ووسام النسر الأتيك في المكسيك سنة 1982م، وجائزة نوبل للآداب في السنة نفسها... يعتبر من أشهر أدباء الواقعية العجيبيّة السحرية، ومن أبرز كتاب صنعة الرواية عامة وكتاب أمريكا اللاتينية خاصة... وتوفي بمنزله في مدينة مكسيكو بعد ظهر يوم الخميس السابع عشر أبريل من عام أربعة عشر وألفين ميلادية (17_04_2014م) الموافق يوم السابع عشر جمادى الثانية من عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية (17_06_1435هـ). له مؤلفات كثيرة، منها:

_مائة عام من العزلة. ترجمة:محمد الحاج خليل. الناشر:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت_لبنان 2010م.

_الحب في زمن الكوليرا. ترجمة:سُرى سامي الجندي. الناشر:دار الجندي للنشر والتوزيع، دار الشفيق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2009م.

_في ساعة نحس. ترجمة:كامل يوسف حسين. الناشر:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت_لبنان 2009م.

_ذكرى عاهراتي الحزينات. ترجمة:رفعت عطفة. الناشر:دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2005م.

_إيرينديرا البريئة. ترجمة:كامل يوسف حسين. الناشر:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت_لبنان 2009م.

_حجيج غرباء. ترجمة:فانز خنيسة. الناشر:دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2005م.

_حكاية بحار غريق. ترجمة:محمد علي اليوسفي. الناشر:دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2008م.

_قصة موت معلن. ترجمة:صالح علماني. الناشر:دار المدى للثقافة والنشر، الطبعة الأولى:1981م، الطبعة الثانية:1999م، الطبعة الثالثة:2003م، الطبعة الرابعة:2004م، الطبعة الخامسة:2010م، الطبعة السادسة:2012م، دمشق_بيروت_بغداد، سوريا_لبنان_العراق...

¹¹ _عنوان الرواية الأصلي باللغة الإسبانية "El general en su laberinto".

¹² _تية نينغ/Tie Ning:كاتبة صينية ولدت بالعاصمة الصينية مدينة بكين سنة سبع وخمسين وتسعمائة وألف ميلادية (1957م)، من أب رسام وأمٍّ أستاذة للموسيقى الصوتية. نشرت أعمالها القصصية منذ ريعان شبابها، وتعد من أبرز الكاتبات الصينيات المعاصرات، ومن أشهر

كتاب القصة والرواية في العصر الحديث، وترأست رابطة الكتاب الصينيين، وأحرزت عدة جوائز وطنية... من مؤلفاتها:

_ المنجل الطائر. دار بكين للنشر، بكين_الصين 1975م. _ القميص الأحمر الخالي من الأزرار. _ آه، أنت الفتاة شيانغ شيويه، 1986م. _ موضوع يونيو المهم. _ فرح عظيم. _ طريق صغير يؤدي إلى البستان. _ من يستطيع أن يجعلني خجولة؟! _ الصمغ العربي...

¹³ _ تيه نينغ، الأبدية بعيدة جدا. ترجمة وتقديم: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مراجعة: لي جيه. الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة إبداعات عالمية، العدد: 398_ديسمبر 2013م، الصفاة_الكويت.

المصادر والمراجع

أ_باللغة العربية

_ تيه نينغ، الأبدية بعيدة جدا. ترجمة وتقديم: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مراجعة: لي جيه. الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة إبداعات عالمية، العدد: 398_ديسمبر 2013م، الصفاة_الكويت.

_ خورخي لويس بورخيس: كتاب الرمل. ترجمة: سعيد الغانمي. الناشر: دار أزمنة للنشر والتوزيع، الطباعة: شركة الشرق الأوسط للطباعة، الطبعة الأولى: منارات 1990م، الطبعة الثانية: أزمنة كانون الثاني 1999م، عمان_الأردن.

_ غابرييل غارسيا ماركيز: 12 قصة مهاجرة. ترجمة: حسام أبو سعدة. الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق_القاهرة، الطبعة الأولى، سوريا_مصر 2006م.

_ غابرييل غارسيا ماركيز: مائة عام من العزلة. ترجمة: محمد الحاج خليل. الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت_لبنان 2010م.

_ غابرييل غارسيا ماركيز: الحب في زمن الكوليرا. ترجمة: سُرى سامي الجندي. الناشر: دار الجندي للنشر والتوزيع، دار الشفيق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2009م.

_ غابرييل غارسيا ماركيز: في ساعة نحس. ترجمة: كامل يوسف حسين. الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت_لبنان 2009م.

_ غابرييل غارسيا ماركيز: ذكرى عاهراتي الحزينات. ترجمة: رفعت عطفة. الناشر: دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2005م.

_ غابرييل غارسيا ماركيز: إيرينديرا البريئة. ترجمة: كامل يوسف حسين. الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت_لبنان 2009م.

_غابرييل غارسيا ماركيز: حجيج غريباء. ترجمة: فائز خنيسة. الناشر: دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2005م.

_غابرييل غارسيا ماركيز: حكاية بحار غريق. ترجمة: محمد علي اليوسفي. الناشر: دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق_سوريا 2008م.

_غابرييل غارسيا ماركيز: قصة موت معلن. ترجمة: صالح علماني. الناشر: دار المدى للثقافة والنشر، الطبعة الأولى: 1981م، الطبعة الثانية: 1999م، الطبعة الثالثة: 2003م، الطبعة الرابعة: 2004م، الطبعة الخامسة: 2010م، الطبعة السادسة: 2012م، دمشق_بيروت_بغداد، سوريا_لبنان_العراق.

_ميشيل رايمون وآخرون: الفضاء الروائي. ترجمة: عبد الرحيم حزل، تقديم: حسن بحراوي. مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء_المغرب 2002م.

ب_باللغة الفرنسية

L'univers du roman. 1^{ère} édition, Presse Universitaire :Roland Bourneuf _Real Ouellet_ , Paris_France 1972.)P U F(de France